٨

الرعاية الصحية في الإسلام

- نظرة إلى الأوضاع الصحية المروعة في عالمنا المعاصر.
- مجتمعات الوفرة تعاني أمراض القلب والشرايين والسرطان والمشكلات العقلية.
- الإسلام هو الدين الوحيد والنظام الفريد الذي يرتفع بالإنسان إلى حالة الصحة.
- الغول (أي الكحول) تغتال العقل وتفوق مشكلاتها المشكلات الناتجة عن المخدرات.
- التدخين يقتل كل عام مليونين ونصف المليون من البشر.

الدكتور محمد علي البار

الرعاية الصحية في الإسلام

قال العز بن عبد السلام، سلطان العلماء، في كتاب قواعد الأحكام (ج ٤/١) : « الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام ».

وغاية الطب: حفظ الصحة موجودة، واستعادتها مفقودة، وإزالة العلة أو تقليلها بقدر الإمكان، ولا بد من أجل الوصول إلى ذلك في بعض الأحيان، من تحمل أدنى المفسدتين لازالة أعظمها، وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمها ». ويقول ابن سينا في ارجوزته: « الطب حفظ صحة، برء مرض ».

وما أعظم هذا الكلام وأدقه وأحسنه. وانظر إلى تعريف منظمة الصحة العالمية بعد مرور قرابة ألف عام على هذا الكلام لترى أيهما أدق.

تعريف الصحة لمنظمة الصحة العالمية:

« الصحة هي حالة الكفاية البدنية والنفسيةوالعقلية والاجتماعية، وليست مجرد الخلو من المرض والعاهة » وهو أمر إن تحقق لفرد لا يمكن أن يتحقق لجميع الأفراد. وإن تحقق لذلك الفرد في فترة من الزمن فلا بد أن تعتوره الأمراض يوما ما « . . وهو تعريف طوباوي لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع. إذ لا تخلو البشرية من المرض ومن الهم والغم وحالات الفرح والترح، ولكن المقصود هو الوصول بالصحة إلى أعلى مستوياتها الممكنة.

ولذا تقسم إلى الأغراض التالية:

١- تحسين الصحة الموجودة والارتقاء بها Health Promotion .

٢- حماية الصحة ووقايتها موجودة Preventive Medicine (الطب الوقائي).

٣- اصلاح البدن ومداواته من الأمراض التي تعتوره، وهو ما يعرف بالطب العلاجي، ويستخدم في ذلك العقاقير وأنواع الأشعة والعلاج الطبيعي والجراحة.

٤- التأهيل للحالات التي انتهى بها المرض إلى الإعاقة ومحاولة إعادة

الشخص ليكون عضواً نافعاً والتقليل من أثر تلك الإعاقة.

وللأسف فإن نظام الرعاية الصحية الموجود اليوم، كما يقول تريفور هانوك، أحد خبراء الصحة العالمية، « يتركز اهتمامه على إصلاح ما تلف من أبداننا ثم إعادتنا إلى ميدان المعركة لنقاتل القوى الاجتماعية البيئية المعادية والتي هي أول ما يسبب لنا المرض ». ولا شك أن اهمال الجانب الوقائي والتركيز على الجانب العلاجي - الذي هو نمط الطب الحديث - قد أدى إلى مضاعفة المشكلات الصحية، بل وإيجاد مشكلات جديدة لا حلول لها.

ويقرر خبراء الصحة العالمية أن هناك عاملين للصحة وهما: نمط الحياة والبيئة، وللأسف فإن المهتمين بأمور الصحة يركزون كل اهتمامهم على مستقبل العلاج، فالخبراء وعامة الناس بهرهم التقدم المثير في تقنيات الطب البشري والذي تدعمه شركات واحتكارات مالية ضخمة، وهذه التقنيات الحديثة قد أدت خدمات طبية رائعة لعدد محدود من الناس وبكلفة باهظة جداً.

إن الصحة المعتلة، كما يقرر خبراء الصحة العالمية، تعود في معظم الحالات إلى سلوكنا الفردي والجماعي الخاطئ، وإلى بيئاتنا المادية والاجتماعية. وإذا نظرنا إلى التقدم في مجال الصحة العامة في البلاد الغربية واليابان وبعض الأقطار الأخرى، فإننا نجد مرد ذلك إلى ارتفاع المستوى المعيشي وتحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطبقات الفقيرة المسحوقة، كما ترجع إلى إيجاد مصادر للمياه النظيفة وشبكة جيدة للمجاري والصرف الصحي والارتفاع بنظافة المنزل والفرد والشارع . . والتخفيف بصورة ملفتة من تلوث البيئة حيث كانت المصانع تنفث دخانها الأسود فتؤدي

إلى انتشار أمراض الجهاز التنفسي بصورة خاصة. وقد اشتهرت بريطانيا وكثير من دول أوروبا بما كان يعرف باسم « السموج » « Smog » وهو مزج لكلمتي الضباب « Fog » والدخان «Smoke» .

إن الارتفاع في المستوى الصحي الذي حدث في الغرب واليابان لا يرجع

إلى الأطباء والعاملين في الحقل الصحي، وإنما يرجع أساساً إلى تغير البنية الاقتصادية والاجتماعية، وارتفاع المستوى المعيشي وتحسن المأكل والمشرب والمسكن ونظافة البيئة.

وإذا كان للعاملين في الحقل الصحي من دور في رفع المستوى الصحي فهو في رعاية الطفولة والأمومة، وفي حملات التطعيم والتحصين ضد الأمراض التي تصيب الأطفال بصورة خاصة. وهذه كلفتها محدودة.

أما عدا ذلك من تقدم تقني باهر وعمليات تأخذ بالألباب فإن مردودها في تحسين المستوى الصحي محدود جداً، مع كلفة باهظة تنوء بها الدول الغنية، فضلاً عن الدول الفقيرة التي تسعى جهدها لامتلاك هذه التقنية الفنية العالية.

وقد جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية وتقرير منظمة اليونيسيف للعام ١٩٨٥ أن ٧٥ بالمائة من الإنفاق على الصحة في الدول النامية يوجه إلى المستشفيات في المدن والتي لا يستفيد منها سوى قلة من السكان . . وفي كثير من دول العالم النامي لا تنفق الدولة سوى ١٥ بالمائة أو أقل على الرعاية الصحية الأولية في الأرياف والتي يستفيد منها ٩٠ بالمائة من السكان.

وتقرر منظمة الصحة العالمية أن ٨٠ بالمائة من سكان العالم لا يحظون بأي رعاية صحية . . وأن ربع سكان العالم (ألف ومائتي مليون) مصابون بالديدان مثل الإسكارس والانكلوستوما والبلهارسيا . . وأن الأمراض المعدية مثل الملاريا والكوليرا والسل والجذام، والديدان مثل الفلاريا والترينسوما والشيمانيا، والطفيليات مثل الأميبا والجيارديا . . ألخ لا تزال منشرة في كثير من مناطق العلم، بينما يسهل القضاء عليها إذا وجد نظام صحة عالمي جيد تسهم فيه الدول الغنية، وتقوم الدول الفقيرة بتوجيه أموالها للقضاء على هذه الأمراض وإيصال المياه النظيفة وإيجاد نظام مجارٍ سليم في كل قرية ومدينة.

ولا شك أن كثيراً من الدول النامية تعاني من ويلات الحروب الأهلية المدمرة، وتوضح الاحصائيات التي تجمعها منظمة الصحة العالمية أن مصادر الخطر على الصحة ترجع في البلاد النامية إلى فقدان مياه الشرب النقية، إلى عدم التخلص من النفايات بالطرق السلمية، وإلى عدم وجود نظام للمجاري، وإلى انخفاض المستوى المعيشي، مما يؤدي إلى عدم توفير الحد الأدنى من الغذاء الجيد، والحد الأدنى من المسكن والمأوى والملبس النظيف، وإلى فقدان رعاية الطفولة والأمومة، بالإضافة إلى كثير من موبقات البلاد المتقدمة مثل انتشار التدخين والخمور والمخدرات وتلوث البيئة.

وتعاني مجتمعات الوفرة من أمراض القلب والشرايين والسرطان والحوادث ومشكلات الصحة العقلية. ويرجع معظم هذه الحالات إلى التدخين وشرب الكحول وتعاطي المخدرات والضغط النفسي والتكالب على متع الدينا وإلى انحلال الأسرة وزيادة الجريمة ونظام التغذية (أكل الخنزير وزيادة الدهون والبروتين) وتزحف هذه الأمراض من البلاد الغنية إلى البلاد الفقيرة فتزداد معاناتها ضغثا على ابّالة . . حيث يتطلع أبناء المدن في الدول النامية إلى ما يفعله قرناؤهم في الدول الغنية فيحاولون محاكاتهم ويأخذون عنهم أسوأ ما لديهم فتزاداد مشكلاتهم الصحية والاجتماعية.

والإسلام بنظامه الشمولي هو الدين الوحيد والنظام الفريد الذي يستطيع أن يرتفع بالإنسان إلى حالة الصحة، وهي حالة الكفاية البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وأن يتمتع الشخص برصيد من القوة وليس مجرد أن يكون خالياً من المرض.

والإسلام يحافظ على الكليات الخمس وهي الدين والعقل والنفس والمال والعرض (النسل)، ولا تتأتى المحافظة على العقل والنفس والنسل إلا بالمحافظة على الصحة التي هي من أجل النعم. قال صلى الله عليه وسلم «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** » وقال صلوات الله وسلامه عليه « **اسألوا الله العافية فإنه ما أوتى أحد بعد يقين خيراً من**

العافية »، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وكم في تعاليم الإسلام من مردود صحي فالأمر بالسواك، وقد ورد فيه أكثر من مائة حديث (منها قوله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم قلحاً لا تستاكون » و « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وفي رواية عند كل وضوء) يؤدي إلى اختفاء أمراض الأسنان واللثة ومضاعفاتها العديدة التي ليس أقلها روماتيزم القلب أو اصابة الكلى . . ثم أهمية الوضوء والاغتسال والاستنشاق والمضمضة في إزالة الميكروبات العديدة والمواد الكيماوية العالقة في الهواء من أثر تلوث البيئة التي إذا تراكمت أدت إلى مجموعة من الأمراض والأورام والسرطانات.

وكم في الاستنجاء وآدابه من فوائد صحية، فإن التهابات المثانة تزداد بعدم الاستنجاء وتكاد تختفي بكثرة استعمال الماء. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم التبول والتبرز في قارعة الطريق وتحت ظل الشجرة وفي الماء وفي الموارد، وأمر المسلمين أن لا يأكلوا إلا باليمين وأن لا يستنجوا إلا بالشمال كما أمرهم بغسل أيديهم بعد الخلاء وقبل الطعام وبعده.

ولو استجاب المسلمون لأوامر نبيهم الرؤوف الرحيم ونصائحه لأدى ذلك إلى اختفاء العديد من الأمراض التي تنتقل بواسطة البراز إلى الفم Orof-ecal Route وهي أمراض عديدة يبلغ المصابون بها الآن الملايين من البشر ومثلها ما يأتي: ديدان الاسكارس والانكلستوما (عدد المصابين أكثر من ألف مليون) ديدان البلهارسيا (أكثر من مائتي مليون)، طفيليات الأميبا والجيارديا (تصل نسبة الاصابة إلى ٧٠ – ٨٠ بالمائة من السكان في بعض الدول النامية)، حمى التيفوئيد والباراتيفوئيد، مرض الكوليرا، مرض النزلات المعوية وخاصة لدى الأطفال، مرض التهاب الكبد الفيروسي من النوع (A) وغيرها من الأمراض الوبيلة.

وتأتي أهمية الصلاة القصوى في كونها صلة بين العبد وربه، ومع هذا فإن الصلاة تضفي على المؤمن سكينة وهدوءاً، وبالتالي تقضي على أمراض

العصر القلق والتوتر وما ينتج عنهما من أمراض نفسية عديدة وأمراض نفس جسمانية Phychosomatic ومنها ارتفاع ضغط الدم (فرط التوتر الشرياني Hypertenion) وما يستتبعه من أصابات في شرايين القلب والدماغ والكلى. ومنها مرض البول السكري الذي يزداد نتيجة فرط التوتر والقلق، كما يزداد نتيجة النظام الغذائى الخاطئ الذي يتم فيه الاكثار من السكريات والحلويات وتقل فيه الخضروات والألياف، بالإضافة إلى حياة الدعة والخمول والكسل وعدم الحركة والرياضة . . ومنها مرض الاثنى عشر والقولون العصبي Spastic Colon ، وكلها لها علاقة وطيدة بالتوتر والقلق.

ولا تقتصر أهمية الصلاة على ذلك فحسب، ولكن من فوائدها العديدة في الجانب الصحي أنها تحافظ على العمود الفقري من الأوجاع وقد قدمت أبحاث عديدة في أهمية الصلاة في المحافظة على العمود الفقري وكونها علاجاً طبيعياً جيداً لحالات يصاب بها وتمنع حدوث الدوالي.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجد فيها روحه وراحته.

وكان إذا غلبه هم فزع إلى الصلاة، وكثيراً ما كان يقول لبلال رضي الله عنه: « أرحنا بها يا بلال ». كيف لا وقد جُعلت قرة عينه في الصلاة . . وعندما كان أبو هريرة رضى الله عنه يتألم من وجع في بطنه في أثناء الليل قال له المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: أشكم درد ؟! أي أتشتكي وجع بطنك (وهي لفظة فارسية) قال أبو هريرة : نعم. قال: قم فصل. فقام وصلى وذهب ما به من وجع .

أما فوائد الصيام على الصحة فلا تكاد تعد، وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « صوموا تصحوا » وقال ابن القيم وهو يشرح حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة » أو وقاية. هو من أدواء (أدوية) الروح والقلب والبدن، وله تأثير عجيب في حفظ الصحة وإذابة

الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها، ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً وحاجة البدن إليه طبعاً .. ثم إن فيه من اراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إيثاره وهو تفريحه للقلب عاجلاً وآجلا . . .

« ولما كان وقاية وجُنّة بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[**البقرة**،١٨٣]فأحد مقصودي الصيام الجُنّة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفع، والمقصود الآخر: اجتماع القلب والهم على ذكر الله تعالى وتوفير قوى النفس على محابّه وطاعته ».

والصوم يمنع السمنة وأخطارها على الصحة حيث لها دور في تسبيب أمراض القلب والبول السكري وضغط الدم وتكوّن الحصى في المرارة واصابة المفاصل وداء النقرس والدوالي ومجموعة من أمراض السرطان.

وإذا عرفنا العلاقة الوطيدة بين التدخين والقلق وضغط الدم والسمنة وقلة الحركة وأمراض شرايين القلب، أدركنا على الفور لماذا زادت أمراض القلب حتى أصبحت القاتل الأول في معظم بلدان العالم وحتى كثر موت الفجأة. وقد أخبرنا بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: « من اقتراب الساعة موت الفجأة » و « موت الفجأة أخذة أسف » أي غضب، وهو كذلك على الكافر والمنافق. وفي حديث آخر قال « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » . .

وتأتي تعاليم الإسلام الواضحة التي تمنع الفاحشة؛ بل وتمنع مقدماتها من التبرج والسفور والاختلاط فتؤدي إلى تجفيف منابع الرذيلة وما يستتبعها من أمراض وبيلة، وهذا أشد ما تعانيه البشرية اليوم. قال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾[**الاسراء** ٣٢]، وقال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[**الأنعام** ١٥١]. وقال عليه الصلاة والسلام: « إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » أخرجه

الحاكم، وقال عليه الصلاة والسلام « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا » أخرجه الحاكم وابن ماجة والبزار.

ويقول قرار منظمة الصحة العالمية WHO في الاجتماع الثامن والعشرين المنعقد في مايو / آيار ١٩٧٥م : « إن الأمراض الجنسية هي أكثر الأمراض المعدية انتشاراً، والتي تشكل تهديداً خطراً للصحة العامة في العالم اليوم، وللأسف فإن كثيراً من الدول لم تدرك بعد أبعاد هذه المشكلة».

وقد ازدادت هذه المشكلة تعقيداً وخطورة بظهور مرض الايدز (متلازمة فقدان المناعة) وانتشاره انتشاراً ذريعاً حتى بلغ عدد من دخل فيروس الايدز إلى أجسامهم أكثر من ١٥ مليون شخص وأن المرض قد أصاب بالفعل مليون ونصف المليون في مختلف قارات العالم، مع ملاحظة أن بلاد المسلمين، برغم تخلفها وبعدها عن الدين الحق إلا أنها أقل المجتمعات البشرية أصابة بهذا المرض الفتاك الخطير.

وليس الايدز وحده هو الذي يشكل الخطر على الصحة العامة، فهناك السيلان الذي يصيب أكثر من ٢٥٠ مليون شخص سنوياً، وبرغم توافر علاج له إلا أن مكورات السيلان تتحور لتصبح أكثر شراسة وأشد مقاومة للعقاقير والمضادات الحيوية . . ومضاعفات السيلان كثيرة بما فيها التهاب البروستاتة (الموثة) والمجاري البولية وإصابة الرجل والمرأة بالعقم في كثير من الأحيان . . ثم هناك الكلاميديا التي تصيب أكثر من خمسمائة مليون شخص في كل عام ومن مضاعفاتها إصابات الجهاز البولي والتناسلي وحدوث العقم وإصابة المواليد بالتهاب العينين والرئتين ومضاعفات أخرى نادرة نسبياً، ثم هناك الهربس وما أدراك ما الهربس الذي يصاب به مئات الملايين ؟ وإذا كان للسيلان والكلاميديا علاج فإن الهربس لا علاج له سوى الاسيكلوفير الذي لا يقضي عليه بل يبقيه في حالة كمون يثور بعدها، وهو عقار مكلف باهظ الثمن لا يقدر عليه كل شخص. وهناك الثآليل الجنسية

وفيروسات بوليوما وعلاقتها مع الهربس في تسبيب سرطان عنق الرحم الذي أخذ ينتشر بصورة ذريعة في كثير من المجتمعات نتيجة انتشار الزنا وكثرة المخاللين.

ثم هناك الزهري الذي يصيب أكثر من خمسين مليون شخص كل عام.

وبرغم وجود علاج ناجح له وهو البنسلين إلا أن هذا المرض شديد المكر والخداع، ويظهر بصورة مختلفة تجعل تشخيصه عسيراً في كثير من الأحيان، مما يؤدي إلى ظهور عاهات خطيرة وإصابات في العظم والوجه والجلد والشعر والقلب والشرايين والجهاز العصبي بأكمله، ابتداء من المناطق المخية العليا حيث يؤدي إلى الجنون الكامل، مع شلل بأنواعه المختلفة وأشهره الشلل المصحوب بالجنون General Paralysis of the Insane ، ومن مميزات هذا الجنون أنه يكون مصحوباً بجنون العظمة، فيعتقد المشلول نفسه نابليون يقود المعارك ويستولى على الدول، أو تتخيل المصابة نفسها جان دارك أو مارلين مونرو.

وإذا انتقلنا إلى الخمور التي حرمها الإسلام تحريماً كاملاً قطعياً بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ **المائدة**، فإننا سنذهل لما ترويه لنا أرقام منظمة الصحة العالمية من فواجع الخمر وموبقاتها وتأثيرها على الصحة: وهي تغتال العقل وهي الغول (ثم حُرفت هذه اللفظة عند الغربيين Alcohol ثم عادت إلينا فأصبحنا نسميها الكحول !!). وقد نفى الله سبحانه تعالى هذه الصفة عن خمر الجنة فقال: ﴿ **لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ [**الصافات**: ٤٧]فهي لا تغتال العقل ولا تسبب السكر ولا تنفذ.

ويوضح تقرير منظمة الصحة العلمية رقم ٦٥٠ للعام ١٩٨٠م بعنوان المشكلات المتعلقة باستهلاك الكحول (الغول) Problems Related

to Alcohol Consumption بعض الأضرار المتعلقة بشرب الخمور فيقول: « إن شرب الخمور يؤثر على الصحة ويؤدي إلى مشاكل تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته، والحشيش والكوكايين والأفيتامين والباربيتورات، وجميع ما يسمى مخدرات مجتمعة، وإن الأضرار الصحية والاجتماعية لتعاطي الكحول تفوق الحصر » ويقول تقرير كلية الأطباء النفسانيين في بريطانيا (العام ١٩٨٦م): « إن الكحول مادة تسبب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات . . . وإن معظم المخاطر على الصحة الناتجة عن تعاطي الكحول ليس من العدد القليل الذي يشرب كميات كبيرة من الكحول ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة للأمة هو من العدد الكبير الذي يتناول كميات معتدلة من الكحول ».

ويذكر تقرير الكلية الملكية للأطباء العموميين في بريطانيا (لعام ١٩٨٦م) أن الوفيات الناتجة عن تعاطي الكحول وما يسببه من أمراض وبيلة مثل تليف الكبد وأمراض الجهاز العصبي والسرطان والحوادث تقدر بأربعين ألف وفاة سنوياً في بريطانيا. ويعتبر تليف الكبد الناتج عن شرب الخمور أهم ثالث سبب للوفاة بين الذكور البالغين في فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا وروسيا وإيطاليا. وهو السبب الخامس للوفيات بين النساء البالغات في تلك البلدان.

ويذكر كتاب « ألف باء الكحول » الصادر عن المجلة الطبية البريطانية BMJ (١٩٨٨م) أن ما بين خمس وثلث جميع الحالات التي أدخلت إلى الأقسام الباطنية في مستشفيات بريطانيا كانت بسبب الكحول . . وفي انجلترا وحدها (دون اسكتلندا وويلز) يدخل إلى أقسام الأمراض الباطنية ما بين ٣٠٠،٠٠٠ و٥٠٠،٠٠٠ شخص بسبب تعاطي الكحول سنوياً . . وفي السويد أثبتت دراسة مالمو الرصينة ان ٢٩ بالمائة من جميع أيام دخول المستشفيات في السويد كان بسبب تعاطي الخمور.

وتقرر جميع المصادر أن مالا يقل عن خمسين بالمائة من جميع حوادث المرور في العالم ناجم عن شرب الخمور. ويذكر تقرير الكلية الملكية للأطباء أن ٥٠ بالمائة من جميع جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمور. ويرفع تقرير هلسنكي هذا الرقم إلى ٨٠ بالمائة، وتؤكد جميع التقارير من منظمات الأمم المتحدة والولايات المتحدة وبريطانيا أن ما بين ٥٠ و٨٠ بالمائة من جميع جرائم الاغتصاب والاعتداء على المحرمات جنسياً مثل الأخت والبنت والأم تمت تحت تأثير الخمور. ويذكر تقرير منظمة الصحة العالمية أن ٨٦ بالمائة من جرائم القتل تمت دراستها في ثلاثين قطراً حدثت تحت تأثير الخمور.

وتؤكد التقارير الطبية أن ما بين ٢٥ و ٣٠ بالمائة من جميع الحالات الموجودة في مستشفيات الأمراض العقلية تم ادخالها بسبب تعاطي الخمور.

وتؤكد التقارير الطبية أن ثلث الحالات التي تدخل إلى قسم الحوادث في مستشفيات أوروبا والولايات المتحدة وبريطانيا إنما تدخل بسبب تعاطي الخمور.

وتذكر مجلة « ميدسين دايجست » المآسي الناتجة عن شرب الخمور وأنها تزداد كثافة بسبب حرص شركات الخمور على توسيع مبيعاتها إلى العالم الثالث والدول النامية، فتذكر أن انتاج البيرة في كثير من دول أفريقيا قد زاد بنسبة ٤٠٠ بالمائة (خلال عشر سنوات من ١٩٧٠م حتى ١٩٨٠م) وأن الزيادة قد بلغت في بعض أقطار آسيا ٥٠٠ بالمائة وأن المشروبات الكحولية قد وصلت إلى كثير من القرى قبل أن تصل إليها المياه النظيفة والمجاري والكهرباء والتعليم !!

وفي الولايات المتحدة تبلغ تكاليف الخمور والأضرار الناتجة عنها ١٢٠ ألف مليون دولار سنوياً بينما يذكر الدكتور علي التويجري في بحث له نشرته مجلة « رسالة الخليج العربي » أن البلاد العربية مجتمعة تنفق على الخمور والمخدرات ما قيمته ٦٤ ألف مليون دولار سنوياً، وهو مبلغ تنوء بكاهله هذه الدول المصاب أكثرها بداء الديون الخارجية، ولا شك أن

الإسلام قد استطاع أن يجتث مشكلة الخمور من أساسها في مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي عهد خلفائه، بل وحتى في عصور الضعف والانحطاط. و. يستطيع كذلك دون ريب أن يواجه هذه المشكلة المعقدة أشد التعقيد في هذا العصر الحديث. وكما قال أرنولد توينبي في كتابه محاكمة الحضارة Civilization On Trial إن الإسلام هو الدين والنظام الوحيد الذي استطاع ويستطيع أن يجتث مشكلة الخمور من جذورها.

وهناك مشكلة صحية خطيرة يستطيع الإسلام أن يحلها كما حل مشكلة الخمور والمخدرات وغيرها من المشكلات، ألا وهي استخدام التبغ تدخيناً ومضغاً وسعوطاً. والتبغ مادة تسبب الإدمان بما فيه من النيكوتين، ويشبه في ذلك ما نسميه مخدرات مثل الأفيون والحشيش والماريوانا وحبوب الامفيتامين وحبوب الفتلين وغيرها من العقاقير.

والتدخين كما تقول منظمة الصحة العالمية يؤدي إلى قتل مليونين ونصف المليون من البشر سنوياً، وهو رقم مفزع حقاً، حيث نجد أن عدد ضحايا القنبلتين الذريتين اللتين القيتا على نجازاكي وهيروشيما في نهاية الحرب العلمية الثانية العام ١٩٤٥ بلغ ٢٥٠،٠٠٠ شخص، أي عُشر العدد الذي تقضي عليه السجاير واستخدامات التبغ الأخرى في سنة واحدة .

وقد ذكر وزير الصحة الأمريكي الدكتور ايفريت كوب أن ضحايا التبغ سنوياً في الولايات المتحدة يبلغون ٣٥٠،٠٠٠ شخص، بالإضافة إلى خمسين ألفا آخرين يموتون نتيجة ما يسمى التدخين السلبي (أي تدخين الآخرين).

وبالمقارنة فإن ضحايا الخمور في الولايات المتحدة حسبما ذكره وزير الصحة الأمريكي يبلغون ١٢٥،٠٠٠ سنوياً المخدرات ستة آلاف شخص فقط. وفي المملكة المتحدة (بريطانيا) نجد الأرقام التالية: وفيات (ضحايا) التبغ ١٠٠،٠٠٠ ، وفيات (ضحايا) الخمور ٤٠،٠٠٠ ، وفيات (ضحايا) المخدرات ١٥٦ .

وفي ألمانيا يتوفى أكثر من ١٤٠،٠٠٠ (مائة وأربعين ألف شخص) نتيجة التدخين سنوياً والأمر كذلك في معظم أقطار العالم.

وبما أن شركات التبغ الاحتكارية الكبرى تكسب آلاف الملايين سنوياً من تجارة التبغ، فإنها تحارب بقوة من أجل زيادة مبيعاتها في دول العالم الثالث بعد أن واجهت انحساراً شديداً في دول أوروبا وكندا واستراليا والولايات المتحدة.

وقد نددت بهذا المسلك الشائن منظمات الأمم المتحدة وبالذات منظمة الصحة العالمية واليونيسيف، كما نددت بذلك الهيئات الطبية المحترمة في العالم كافة . . وأطلق السناتور روبرت كيندي على شركات التبغ لقب « قاتلة البشر » . وقدم وزير الصحة الأمريكي ايفريت كوب لكتاب جيد ظهر العام ١٩٨٨م بعنوان « تجار الموت Merchants of Death » للمحامي لاري وايت الذي أوضح بالأرقام أن شركات التبغ الكبرى بلغت مبيعاتها في الولايات المتحدة ٣٠ ألف مليون دولار، ومبيعاتها في العالم أجمع أكثر من مائة ألف مليون دولار. وأن هذه الشركات تدفع الرشاوى والمبالغ الضخمة حتى لا تصدر ضدها تشريعات تمنع استهلاك التبغ. وهي تؤدي إلى تحطيم صحة عشرات الملايين من البشر سنوياً وتقضي على الملايين منهم كل عام ويا لها من جريمة بشعة مروعة !!

وعلماء الإسلام قد أفتوا مراراً بتحريم تعاطي التبغ وزراعته والاتجار فيه، ولو نُفذ ذلك لأمكن انقاذ الملايين من براثن المرض والعاهة والموت. وقد اعتنى الإسلام بالرعاية الصحية للطفولة والأمومة أيمَّا اعتناء. وقد جعل «الجنة تحت أقدام الأمهات » واعتنى بتكوين الأسرة الصالحة وحث على الزواج من الأكفاء وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » أخرجه أبو داود والترمذي. وقد قال تعالى ممتناً على البشر بنعمة الزواج ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يتفكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] وقد ثبت أن الزواج، بالإضافة إلى كونه إحصاناً ضد الموبقات والفواحش، فإنه يؤدي إلى السكن والمودة والحياة النفسية المستقيمة. وأن المتزوجين أقل عرضة للأمراض النفسية والعصبية والعقلية من غير المتزوجين. وأن نسبة مدمني الخمور والمخدرات بين المتزوجين أقل بكثير من أقرانهم من غير المتزوجين. وهكذا قل في كثير من الأمراض الجسمانية والنفس جسمانية.

وقد نبّه المصطفى صلى الله عليه وسلم لاختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح وقال صلى الله عليه وسلم: « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » أخرجه ابن ماجة والديلمي. وقال صلى الله عليه وسلم: « إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء » أخرجه الدار قطني وقال « تزوجوا الأكفاء وأنكحوا إليهم ».

وهذه الأحاديث الشريفة تؤكد أهمية الصفات الوراثية التي تنتقل من الأباء والأمهات إلى الأبناء والأحفاد . . ولم يقصرها الرسول الكريم الحكيم صلوات الله وسلامه عليه على الأمراض الجسمانية، بل تعداها إلى ما هو أهم وأعمق،وهو الأمراض الأخلاقية والنفسية.

وقد صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « اغتربوا لا تضووا » أي لا تتزوجوا القرابة القريبة حتى لا ينحصر الزواج فقط في الأقارب دون غيرهم فيؤدي إلى ضعف البنية وظهور الأمراض الوراثية المتنحية . . وهذا الإجراء يخفف من حدوث الأمراض الوراثية.

وقد حمى الإسلام الجنين من الأمراض البيئية، وهي ترجع إلى الميكروبات والاخماج وأغلبها ناتج عن الأمراض الجنسية (أي أمراض الزنا)، ونوع منها وهو مقوسات جوندي ناتج عن أكل لحم الخنزير وعن الاختلاط الشديد بالقطط، كما ترجع إلى المواد الكيماوية ومن أخطرها الكحول (الغول) والنيكوتين في التبغ وأنواع المخدرات.

وقد حمى الإسلام الجنين من الاجهاض وجعل له دية هي غرة (وهي

عُشر دية المولود) وقد قال تعالى: ﴿ وَلا تَقتلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقتلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ وقال: ﴿ وَلا تَقتلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١]. وجاء في بيعة النساء ﴿ وَلا يَقتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٢] . . وقد فقدت البشرية في ظل الحضارة الراهنة رشدها فهي تغتال كل عام أكثر من خمسين مليون جنين دون ذنب ولا جريرة. وذلك نتيجة الكفر والفقر والزنا وتفكك نظام الأسرة في مختلف بقاع العالم.

وهكذا نجد تعاليم الإسلام تحمي الجنين من أسباب التشوهات الخلقية والخُلقية وتحفظ حقه في الحياة الكريمة.

ويحفظ الإسلام للوليد حقه في الرضاعة قال تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وهي آية فذة جامعة في موضوع رضاعة الطفل الوليد . . وأمه أحق بحضانته إذا ما انفصمت عرى الزوجية . . وقال ابن حزم إن الرضاعة واجبة على الأم متى استطاعت ذلك ولو كانت ابنة الخليفة وتوفرت المرضعات . . واليوم كم يعاني الأطفال الرضع من إهمال الرضاعة وكم هي الفوائد التي تفوت الأم والطفل بعدم الرضاعة.

والمجال بعد هذا واسع لا يتسع له هذا المقام وفيما ألمحنا إليه غنية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.